الموضوع (02) – إطار تاريخي للعلاقات الأور-مغاربية

يسلط الموضوع الضوء، على تاريخ العلاقات الأوربية المغاربية والجذور التاريخية للتفاعل الثقافي والاجتماعي بين الضفتين، البحث في الجذور التاريخية لفكرة التعاون في منطقة المتوسط عموما، وتتبع الخطوات التاريخية لتطور العلاقات الأوربية المغاربية في سياقها العام المرتبط بالعلاقات الأوربية-العربية والعلاقات الأوربية المتوسطية قبل /ومنذ استقلال الدول المغاربية، بالإضافة إلى محاولتنا تسليط الضوء على الضرورات التاريخية والحضارية التي دفعت إلى التفكير في تنظيم التفاعلات الاقتصادية والسياسية في المتوسط عموما. وبالتالي فإن هذا الموضوع يتناول تحول العلاقات ضمنيا من الحوار الأوربي-العربي (المغاربي) إلى التعاون/الشراكة الأور-مغاربي.

أولا قبل شرح محاور البحث يجب ان توضحوا الإطار النظري المعتمد في دراسة مسار تطور العلاقات الأورمغاربية تاريخيا. وتسليط الضوء على مسار تطور العلاقات الأور-مغاربية، يوجهنا إلى تناول الموضوع من خلال:

أولا ، توصيف المسار التاريخي للعلاقات الأورمغاربية ضمن التحول الحاصل في السياسة الدولية:

يستدعي وصف الإطار التاريخي لطبيعة العلاقات الاورومغاربية ضمن التحول الحاصل في السياسة الدولية، أهمية تحديد الأطر النظرية وأداوت التحليل من خلال التأكيد على أن:

- طبيعة العلاقات الأورمغاربية قبل نهاية الحرب الباردة كانت قائمة على فكرة أن المجتمع الدولي يتكون من مجموعة الدول المتفاوتة القوى والنفوذ والسلطة التي خلقت علاقات الصراع التنافس والعداء والهيمنة، خاصة إذا تكلمنا عن تأثير ذلك على الدول الصغيرة التي تجد نفسها مضطرة للرد على تصرفات الدول الكبرى، بإقامة تحالفات والتعاون او التقارب مع الوحدات السياسية الأخرى؛ أو، توجهات القوى الكبرى للاستحواذ أكثر على مناطق النفوذ. وهنا نتحدث عن أهمية وارتباط تحليل هذه العلاقات وفقا لمفهوم القوة والمصلحة ضمن التقليد الواقعي.
- ومع عدم نفي وجود مجالات الإرتباط والتعاون في هذه الفترة التي لا يمكن تفسيرها في إطار فرضية القوة في العلاقات الدولية فقط، فإنه من المهم أيضا أن نركز على المنظورات الفكرية (التقليد الليبرالي، ومفاهيم الاعتماد المتبادل والتعاون) التي تساعدنا على فهم العلاقات الأوربية المغاربية في هذه الفترات.
- والافتراض الرئيسي الذي نستند إليه في تحديد/تسليط الضوء على الإطار التاريخي للعلاقات الأورو-مغاربية، يشير إلى أن العلاقات الدولية/السياسات الدولية بشكل عام تميزت بعلاقات الصراع والتنافس أو العداء تارة والتعاون والتقارب تارة أخرى، فإن العلاقات الأوربية المغاربية تاريخيا أيضا تميزت بعلاقات مضطربة يشوبها نوع من الغموض والريب، من فترات

الصـــراع (الاســـتعمار)، إلـــى مراحـــل الحوار/التعاون/الشـــراكة نتيجـــة لمجموعـــة مـــن التغيـــرات والعوامل الحاصلة في البيئة الدولية التي اوجدت تلك الضرورات.

ثانيا- لتتبع المسار التاريخي لتطور العلاقات الأورمغاربية، يمكن فهمها من خلال تقسيمها لثلاث مراحل:

❖ **المرحلة الأولى: تعرف بمرحلة الحوار شمال-جنوب (الحوار العربي-الأوربي) قبل 1975**

➢ **العلاقات الاورومغاربية من نهاية الخمسينيات إلى بداية السبعينيات:**

- مرحلة اتفاقيات التعاون الأولى (تونس المغرب):

جـاءت العلاقـات الأورو مغاربيـة في البدايـة ضـمن أهـداف الجماعـة الاوربيـة لإقامـة علاقـات خاصـة مـع بلـدان شـمال إفريقيـا الـثلاث والتي بـدأت منـذ 1958 أي بعـد اسـتقلال تـونس والمغـرب سـنة 1956؛ والجزائـر ذكـرت في ملحـق اتفاقيـة رومـا لاعتبارهـا مسـتعمرة فرنسـية. ودخلـت في هـذ المرحلـة بدايـة تـونس والمغـرب في حـوار ومفاوضـات تمهيديـة مـن أجـل تحديـد علاقاتهـا الاقتصـادية مـع المجموعـة، تكللـت بإنشـاء أول اتفاقيـة تعـاون بـين الطـرفين سـنة 1964، واقتصـر مضـمونها بشـكل فـردي علـى الجانـب التجـاري فقـط، واسـتمر التعـاون الاقتصـادي دون الجانـب السياسـي حتى في جلسات الحوار بين الطرفين مابين 1973-1974.

- علاقات التعاون بين الجزائر والدول الدول الأوربية قبل 1976:

الجزائـر بعـد اسـتقلالها، وبعـد مجموعـة مـن المفاوضـات مـع وفـود الجماعـة الإقتصـادية الأوربيـة(مابين 1963-1969) عرفـت هـذه المرحلـة أولا فشـلا في الحـوار، كـون الجانـب الجزائـري كان يبحـث عـن اتفـاق يشـمل التعـاون في كـل الميـادين ولا يقتصـر فقـط علـى جانـب واحـد كمـا جـرى ذلك مع المغرب وتونس.

وفي إطـار المفاوضـات والحـوارات الثنائيـة مجـددا سـنة 1972، قصـد الوصـول لاتفـاق في إطـار السياسـة المتوسـطية الشـاملة (الحـوار الأوربـي العربـي في المنطقـة) التي اتبعتهـا المجموعـة الأوربيـة، وقعت الجزائر على اتفاقية التعاون التي دخلت حيز الخدمة رسميا في نوفمبر 1978.

❖ **المرحلة الثانية: تعرف بمرحلة التعاون (التعاون الاورومتوسطي بعد اتفاقية روما 1975)**

➢ **اتفاقيات التعاون الاورومغاربي من 1976-1991:**

في الفتـرة مـابين 1976-1991 ظهـر مـا يصـطلح عليـه بالعلاقـات الأورومغاربيـة التي جـاءت ضـمن السياسـات الشـاملة للاتحـاد الأوربـي اتجـاه دول البحـر الأبـيض المتوسـط. وجـاءت التسـمية بعـد توقيـع المجموعـة الاوربيـة اتفاقـات تعـاون مـع الـدول المغاربيـة عـام 1976 ومـن أهـدافها مسـاعدة ودعـم إ جـراءات التنميـة الاقتصـادية والاجتماعيـة في بلـدان المغـرب العربـي الـثلاث كجـزء مـن النظـرة المتوسـطية الشـاملة، ولـذلك اتفاقيـات 1976 كانـت ذات أهميـة كبـرى بالنسـبة للعلاقـات الاقتصـادية بـين أقطـار المغـرب العربـي والمجموعـة الاقتصـادية الأوربيـة، التي مهـدت لمجموعـة مـن

الاتفاقيات من أجل التعاون ولما لا الشراكة في ظل مجموعة من العوامل التي دفعت اوربا بجدية إلى تحقيقها.

- اتفاقيات التعاون الأولى 1976-1981:

شملت تقديم معونات للدول المغاربية، بالإضافة إلى التبادل التجاري، وتقديم المعونات والمساعدات حيث رافق اتفاق أفريل 1976 دعم مالي أوربي في شكل مساعدات مباشرة من ميزانية المجموعة الأوربي وقروض المسيرة من البنك الأوربي للاستثمار لدعم مشاريع التنمية، وتحددت هذه الفترة بعد توقيع بروتوكول لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد من الفترة 1976 إلى 1981.

- اتفاقيات التعاون الثنائية 1981-1986:

تم اعتماد اتفاقيات التعاون الثانية بين المجموعة الاوربية والدول المغاربية كتكملة لاتفاقيات التعاون الأولى خلال السبعينيات، وقد عرفت ارتفاع حجم المساعدات (فعلى سبيل المثال خصصت للجزائر مساعدة قدرت ب 151 مليون وحدة نقدية موجه للإصلاح الزراعي ومجال الصيد).

- اتفاقية التعاون الثالثة 1986-1991:

تم عقد هذه الاتفاقية لتخلف بروتوكول التعاون الثاني حيث تم تسجيل ارتفاع نسبي في حجم الاعتمادات والاعانات المخصصة لكل دولة.

➢ العلاقات الأورمغاربية من 1991-1996:

منذ 1990 عمل الطرفين على إقامة سياسة متوسطية جديدة تحت الزعامة الأوربية وفقا لرؤية مستقبلية ومصلحية لدول الاوربية ودول جنوب المتوسط. وفي أواخر سنة 1991 أقر مجلس الاتحاد الأوربي برنامج عمل حول تبني سياسة أوربية متجددة تمتد حتى 1996:

- السياسة المتوسطية الجديدة (PMR):

فمن خلال السياسة المتوسطية الجديدة (PMR) حاولت المجموعة الاوربية إعادة رسم سياسات تعاون مع دول المتوسط الثلاث بعد : فشل السياسة المتوسطية الشاملة وتحقيق اهداف التنمية؛ تفاقم الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين الطرفين؛ الاحداث السياسية الموالية وتأثيرها(ثورات دول شرق أوربا ضد أنظمة الحكم الشمولي سنة 1989، حرب الخليج الثانية 1990-1991، أحداث العنف في الجزائر)؛ صعود الولايات المتحدة الامريكية كقوة منفردة مع نهاية عام 1991 بعد سقوط الاتحاد السوفييتي؛ أحداث العنف في الجزائر).

- أهداف السياسة المتوسطية الجديدة (PMR):

كان لزاما على المجموعة الاوربية اتباع سياسة جديدة، خاصة بعد معاهدة الوحدة الأوربية ماستريخت في مارس 1992 ن التي أدت على غعلان الاتحاد الأوربي توجهات جديدة فطرحت

المفوضية الاوربية فكرة الشراكة الأورمغاربية وتكملة البروتوكول المالي مع هذه الدول والوصول على إقامة منطقة تبادل حر كما نص عليه اتصال المفوضية حول هذه العلاقات المؤرخ في 30 أفريل 1992 من خلال تجسيد سياسة حقيقية من اجل الحوار في يونيو 1992 لإقامة تعاون متعدد النواحي يؤدي تدريجيا إلى شراكة متطورة بين الطرفين كما جاءت في الأهداف العامة للسياسة المتوسطية الجديدة.

- اتفاقية التعاون الرابعة 1996-1991:

وهي الاتفاقية التي لا تختلف عن سابقتها وتدخل في غطار استمرار تجسيد اهداف السياسة المتوسطية الجديدة من خلال تحديد أولويات الإصلاح الاقتصادي والهياكل والتعاون في المجال الجوي والبيئي مع زيادة المساعدات والمنح في غطار تحقيق التنمية في الحوض.

وهذه الاتفاقيات مهدت لمجموعة من الشراكات اللاحقة للعلاقات الأومغاربية، أو ما يعرف بالمرحلة الثالثة

❖ **المرحلة الثالثة، تعرف بالشراكة (الشراكة الأورمتوسطية بعد إعلان برشلونة 1995):**

ويرجع الخبراء والمتخصصين في الدراسات المتوسطية إلى ان التحول الكبير في العلاقات الاورومغاربية قد ازداد بفعل:

- بروز فكرة "الدولة الحاجز" بتعبير "روفين جان كريستوف" أو "الدولة المحورية" بتعبير "بول كينيدي" وصفا للدول، التي تقع على خط التماس مباشر مع الشمال لتشكل تخوم تكون وظيفتها امتصاص التوترات القادمة من الجنوب.
- سقوط وانهيار الاتحاد السوفياتي والذي مثل فرصة لعودة حوض المتوسط كما كان منطقة نفوذ أوروبية، بعد أن كانت منطقة للصراع على النفوذ بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي.
- الصراع الفرنسي-الألماني، فغقناع ألمانيا الاتحاد الأوربي إلى بلدان أوربا الشرقية والوسطى مازادها قوة، دفع فرنسا إلى اقتراح الشراكة الأورمتوسطية كوسيلة كفيلة بتحقيق التوازن مع التوسع الألماني.
- دافع الشراكة والهدف الرئيسي للشراكة هو التنافس الخفي والمعلن مع الولايات المتحدة الأمريكية على المنطقة.
- إيمان اوربا بأن أمن الشمال وجنوب المتوسط لا ينفصلان، وهو ما أكده الأستاذ وجيه كوثراني أن أوربا طرحت الشراكة كوسيلة لتنمية الجنوب المتوسط للحفاظ على استقراراه.
- توجه أوروبا نحو الجنوب والشرق يأتي متسقاً مع التوجهات العالمية السائدة ومع تطلعات المجموعة لدورها العالمي، رداً على التحولات التي تشهدها الساحة العالمية وتجسيداً لهذه التوجهات فإن المجموعة تسعى من خلال الإطار الجديد للتعاون إلى إقامة منطقة أوروبية

يتوقع أن يصل عدد المشاركين فيها 40 دولة، ويبلغ حجم سوقها ما يقارب 800 مليون نسمة عام 2025.

- يرى الجانب الأوروبي دائماً أن جيرانه المتوسطيين يمثلون سوقاً واسعة ونامية وأن المنطقة تتمتع بمحزون كبير من الموارد الطبيعية، لذلك فإنه من الأهمية الحيوية والسياسية والاقتصادية لأوروبا العمل على تطوير العلاقات معهم، لأن ذلك يجعل أوروبا في موقع تنافسي أفضل في وجه المنافسة الأمريكية والصينية واليابانية.